البيّنة القاطعة في صاحب الدلالة اللامعة

لحضرة الخوري قسطنطين باشا ق.ب

قد قيل انَّ الحقيقة بنت البحث. قلَّما نشر حضرة القس جرجس منش مقالتهُ في مؤلف الدلالة اللامعة (المشرق ١٥ : ٥٧٣) وجدناهُ مصيباً في ما قصد اثباتهُ بانَّ صاحب هذا الكتاب هو الاب ميشال نو المرسل اليسوعي ليس الطيّب الذكر اقتيميوس صيني كما ذكرنا نحن ذلك في ترجمتهِ بعد غيرنا من الكتبة. على انَّ حضرة الخوري قسطنطين الباشا انتصارًا للحقّ وجد في هذا الزعم نظرًا فجاء بهذه المقالة يبيّن فيها انَّ الحقيقة في الوسط وانَّ كتاب الدلالة اللامعة هو للسيّد اقتيميوس وانَّما استفاد من كتاب للاب ميشال نو يشهدُ في الموضوع والشواهد يدعى الاحتجاج. وقد حشّينا المقالة ببعض الحواشي ابدينا فيها ملحوظاتنا بتجرُّد عن كل غرض ل.ش

نشر حضرة القس الفاضل جرجس منش في المشرق (١٥ : ٥٧٣) مقالةً نفعنا الله بعلمهِ خالف فيها «ما جرى على الالسن وتناقلهُ الخلف عن السلف» في نسبة كتاب الدلالة اللّامعة لغير مؤلفهِ المشهور. ونسبهُ للاب ميخائيل نو اليسوعي رحمهُ الله. واذ كان قصدهُ «التمحيص عن الحقيقة عمَّا علق بها» كما يقول فنشكرهُ على ذلك ثم نستأذنهُ بالمشاركة لهُ بهذا البحث وانتقاد مقالتهِ والإشارة الى ما جاء فيها بعيدًا عن الواقع في الاستدلال ونرجو من فضلهِ ألَّا يحمل كلامنا اذا خالفنا رأيهُ على غير معناه

١ً لم يُطبع كتاب الدلالة اللامعة الطبعة الاولى في مطبعة الواتيكان على نفقة المطران كما قال حضرتهُ بل طُبع في مطبعة مجمع انتشار الايمان (١ وعلى نفقة المجمع نفسهِ كما يظهر من اول صفحة منهُ

٢ً لم يُضرب المطران اقتيميوس عن ذكر اسمهِ في صدر الكتاب لكونهِ ليس من تأليفهِ كما ظنَّ حضرتهُ بل لكونهِ طُبع باحسان المجمع المقدَّس بعد تكرار الطلب وحتى لا يُغضب البطريرك كيرلُّس الخامس الذي لم يكن حينئذٍ مجاهرًا بالايمان الكاثوليكي بل كان معادياً لهُ ولأتباعهِ. ولعلَّ سبب ذلك كان من اهمال الذي

١) لا شكَّ ان حضرة القس ج. منش اراد بمطبعة الواتيكان مطبعة مجمع انتشار الايمان اذ لم يكن قديمًا للواتيكان مطبعة خاصَّة (المشرق)

وقف على طبع الكتاب . فانهُ اهمل ايضاً ذكر اسم الكتاب في المقدّمة حيث كان يجب ان يكون بعد قولهِ (ص ٨): ووسمتُ رسالتنا هذه . . .

٣ وقول حضرتهِ «بان كل ما تركهُ المطران من آثارهِ الادبيَّة ذكر فيهِ اسمهُ صريحاً» فيهِ نظرٌ ويحتاج الى بيان حتى تصحّ نتيجة هذا القياس ويكون لحضرتهِ الشكر اذا افادنا عمَّا عندهُ من مؤلفات المطران فان الذي عندنا في دير المخلص منها اكثرهُ غفلٌ لا يُعرف انهُ لهُ الَّا بعد المطالعة والاستدلال على ذلك بما وردَ فيها من اعمالهِ واحوالهِ (١

٤ وما اقتضبهُ حضرتهُ من مقدّمة الكتاب لا يوهم ما اراد من أنَّ كاتبهُ «كان عامياً لا مطراناً». لانَّ جُمل الكلام هناك يدلُّ على انهُ كلام اعتذار وتأدُّب يرى عليهِ الكتَّاب ويصحُّ ان يقولهُ المطران لمن كان اكبر منهُ مقاماً او سنّاً كالبطريرك والمطارنة. وهذا نصُّ كلامهِ: «مع اعترافي باني لستُ من فرسانِ هذا الميدان ولا لي في حلّ هذه العقدة يدان وليس من رتبتي النظر الصائب والفكر الثاقب» بل يدلُّ في قولهِ التالي: «ولا مندوحة لي بان امدَّ يدي (التي لم تطُل) الى ما يتعلَّق بالديانة المسيحيَّة» على انهُ أسقف من واجباتهِ تعليم ما يتعلّق بالديانة المسيحية ولا مندوحة له من ذلك

٥ اذا قابلنا كتاب الدلالة اللامعة بما ابقى المطران من الرسائل يظهر لنا لحن وركاكة في كلامهِ لاعتقادهِ ان التأنُّق بالكلام او زخرفة الانشاء يمنع عامَّة القُرَّاء عن فهمهِ او لانهُ لم يكن ضليعاً بالعربية ولم يخرج عن هذه القاعدة في كتاب الدلالة كما يظهر للناقد البصير وان لزم اعادة النظر فيهِ وتنقيحهُ

٦ واهمال العلَّامة المطران جرمانوس فرحات لذكر هذا الكتاب في ترجمة المطران افتيموس التي وضعها لهُ في ديوان البدع لا يصحّ ان يكون دليلًا على ما اراد بعد ما عُرف غرض المؤلف فيها رحمهُ الله . فانَّ ما نقلهُ عنهُ «الطقوس والعوائد صنم الروم فيلزمني كسر هذا الصنم» لا وجود لهُ الَّا في ديوان البدع ولم تبلغ اليهِ تهم اخصامهِ في شكاويهم عليهِ

---

١) ويا ليت حضرة الكاتب ايضاً ذكر شيئاً من هذه التآليف (المشرق)

٧ ليس المطران غريغوريوس عطا اول من نسب الكتاب للمطران اقليموس ولم يكن ذلك تحكماً منهُ بل نقلهُ عمَّن تقدَّمهُ وعُمدتُهُ كتاب التختيكون الذي سيأتي ذكرهُ

٨ راجعنا بإمعانٍ مقدَّمة المحاورة الجدليَّة للشماس عبدالله زاخر فلم نستطع ان نستخرج منها ما اراد حضرتهُ والذي ظهر لنا ولا يظهر سواه لكل مطالع ان هذا الشماس الغيور قصد في مقدَّمة محاورتهِ بيان حال ابن فخر ونفاقه واعترافه بصحَّة الايمان الكاثوليكي صريحاً اذ قضى زماناً طويلاً متمسكاً به وهو متلبس بهِ رياء وخداعاً لنيل الشرف بتقرّبهِ الى اعيان الكاثوليك والقناصل والمرسلين (١ واذ صار ترجمان قنصل الانكليز « شرمن » جحد الايمان وناصب ذويهِ العداء مع سلبستروس القبرصي الذي منحهُ لقب لنرتاتي . فلو كان عبدالله زاخر يُريد تعنيف ابن فخر بكتاب الدلالة كأنهُ تأليفهُ لما اكتفى بهذه الاشارة اللطيفة مع خصمهِ الذي شواهُ مجدَّة قلمهِ من كل جانب ولو كان يعلم ان هذا الكتاب لهُ لاتَّخذ منهُ سهاماً كثيرة اكثر اصابةً واشدَّ نكايةً كالتي طعنهُ بها في محاورتهِ الجدليَّة والدحض الخطير

٩ وقد طالعنا مقدَّمة الرسالة الجدليَّة للاب بطرس فروماج التي اقتضب منها حضرتهُ ما أحبَّ ليبرهن ان كتاب الدلالة اللامعة هو نفس كتاب الاب ميخائيل نو الذي اصلح اعرابهُ الشماس الياس فخر . على ان الذي بان لنا منها أنَّ المؤلف رحمهُ الله اخذ على نفسهِ فيها بيان حال الياس فخر ليبرهن انهُ لم يكن هرطوقيًّا صوريًّا فقط بل متلاعباً بالدين كاذباً وغاشًّا في ايمانهِ . او بالحري منافقاً لا دين لهُ وهذا نصُّ كلامهِ :

« هل يقدر هذا الرجل ان ينكر انهُ منذ زمان قليل لم يكن سالكاً مع الكاثوليكيين المتمسكين بايمان الكنيسة البطرسيَّة مُحترماً لهم الاكرام والمحبَّة . أما كان مشتركاً معهم في الاسرار المقدَّسة . فليقل لنا كم من مرَّةٍ اعترف بين ايدي المرسلين الرومانيين وتناول منهم الاسرار المقدسة . وكم من مرَّة اظهر الغيرة لإظهار حقّ ايمان الكرسي الرسولي ولبيان ضلال الروم المشاقين . أما انهُ اتَّخذ كتاب البادري ميخائيل نو البسوعي الذي به يبرهن البادري

---

١) لمَّا كان في رومية الحبري سيافيم طاناس موفداً من البطريرك كيرلس الحلبي ليقدم صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي سنة ١٧١٨ للبابا اكليمنضوس الحادي عشر طلب وتال منهُ لقب شرف من رتبة كافلير (Cavaliere) لخالهِ منصور صيني ولالياس فخر المذكور

المذكور بدلائل كثيرة متنة رئاسة البابا المُطلقة على جميع المؤمنين وانبثاق الروح القدس من الآب والابن ووجود المطهر وحقائق غير هذه مرفوضة من الروم وأصلح اعراب هذا الكتاب ونسبهُ الى نفسه كانهُ هو مصنّفهُ ومؤلفهُ من كتُب الكنيسة الشرقية ليُقنع بها ابناء جنسهِ الناكرين لهذه الحقائق. الخ »

فانَّ « لامُ » التعليل بقولهِ « ليُقنع » متعلقة « بنسبهُ » لان قصد الكاتب بهذا بيان غيرة ابن فخر الكاذبة قبلًا على نشر الايمان الكاثوليكي

١٠ ولعلَّ حضرة الاب منش لم يطّلع على كتاب الاب ميخائيل نو فخيل لهُ انهُ نفس كتاب الدلالة اللامعة مع ان الكتاب المذكور سواء كان الاصلي ام الذي اصلح إعرابهُ الياس فخر يختلف كل الاختلاف عن كتاب الدلالة وقد افادنا عن اسم هذا الكتاب ومضمونهِ ومؤلفهِ العلّامة بطرس ارنودي اليسوعي في كتابهِ الشهير على تفسير المزامير المنقّح بقلم العلّامة الشماس عبدالله زاخر في صفحة ٣٠٧ من المجلّد الثاني المطبوع في مطبعتنا المخلصية فدعاهُ « كتاب احتجاج كنيسة الروم المقدّسة عن استقامة ايمانها وجليل اعتقادها » وصرّح باسم مؤلفهِ « البادري ميخائيل اليسوعيّ » ولدينا منهُ نسختان قديمتان بلا تاريخ : الاولى بخطّ جميل كانت ملك المرحوم شكرالله غانم البيطار من اعيان حلب ومن اعظم وارل ضحايا سلبستروس القبرصي. والثانية مختلفة عنها خطًّا وانشاء وهي اقدم من الاولى وناقصة في مجموعة بقلم المطران افتيموس وتلاميذهِ (١ ولدى المقابلة يظهر للمطالع ان الواحدة لا تختلف عن الثانية الّا بكونها اقلّ لحناً في الاعراب وركاكة بالتأليف وكلاهما يختلفان كثيراً عن كتاب الدلالة (٢

١) في هذه المجموعة صورة اعتراف الايمان الكاثوليكي التي نشرها المشرق (١٥: ٦٥٧) وارتاب ناشرها حضرة الاب لويس شيخو في مؤلفها فقال « لعلّ مؤلفها هو الشماس عبد الله زاخر والله اعلم » وهي بالحقيقة للمطران افتيموس اذاعها سنة ١٧٢٣ بعد ما ارسل اثناسيوس الدباس من القسطنطينية صورة مخالفة للايمان الكاثوليكي طالباً من اعيان الاكليروس والشعب ان يمضوها ويرسلوها لهُ الى هناك وارسل معها رسالة بجمع البطاركة التي فنّدها تلك السنة الشماس عبد الله زاخر في كتابه المشهور بتفنيد المجمع العنيد

٢) وفي مكتبتنا الشرقية ايضاً من كتاب الاحتجاج نسختان قديمتان الواحدة ناقصة في اولها وآخرها اشرنا اليها في مجلّتنا (١٥: ٥٧٧) والاخرى افضل واقدم منها لم ننتبه اليها تاريخها

١١ وان اعترض علينا بان كلام الاب فروماج الوارد بعد ذلك قد صرّح فيه بذكر كتاب الدلالة . قلنا انهُ ذكر كتاب الدلالة بعد الكتاب المتقدم ذكرهُ لانهما من باب واحد ولكونهِ اكثر انتشاراً وشهرة واقرب منالاً بعد طبعهِ

فعلى ما يظهر ان هذه الدعوى كانت على لسان ابن فخر فقط ولم يجاهر بها قلمهُ في كتبهِ او مراسلاته التي وقفنا عليها وامامنا صورة رسالة مطوّلة كتبها من حلب في ١٥ نيسان سنة ١٧٢٥ وارسلها الى البابا بناديكتوس الثالث عشر منقولةً عن الاصل بخطهِ وختمهِ المحفوظ في سجلّات مجمع انتشار الايمان في ورقة ٣٢٢ من مجلد اوراق سنة ١٧٢٥ بهذا العنوان Greci Melchiti Congregazioni partico-lari وقد صوّر نفسهُ فيها اتمّ تصوير فانهُ بعد ان مدح ذاته بما احبَّ اخذ يقذف سُمَّ قلمهِ بل سمَّ قلبهِ في المرسلين والمطران افتيميوس وابن اختهِ البطريرك الجديد كيرلس طاناس حتى بلغت بهِ الوقاحة الى مخادعة البابا بصحّة رسامة سلبستروس في القسطنطينيَّة . فلو كان ابن فخر يدَّعي لنفسهِ حقيقة كتاب الدلالة لما استطاع ان يضرب عن ذكرهِ في معرض كلامهِ عن نفسهِ بالمناضلة عن الايمان الكاثوليكي وهو اجلُّ ما يستطيع ان يمدح بهِ نفسهُ

وعندنا ايضاً رسالة ارسلها مكاريوس مطران طرابلس الى رئيس مجمع انتشار الايمان في تاريخ ٢٠ كانون الاول سنة ١٧١١ محفوظ اصلها بامضاء المطران وختمهِ وخطّ يد الياس فخر نفسهِ توصيةً باخيه ميخائيل وهي في عدد ١٣ من مجلد اوراق السنة ١٧١١ يقول فيها « انهُ اخو الشماس الياس فخر الماضل عن الايمان الروماني بالقول والفعل والقلم وربما بلغ جلالتكم بعض مصنَّفاتهِ » . فلو كان ابن فخر يدَّعي لنفسهِ كتاب الدلالة الذي كان قد طُبع وانتشر منذ سنةٍ لما استطاع ان يضرب عن ذكرهِ باسمهِ

فيلزم ممَّا تقدّم اذاً انهُ لا تصحّ نسبة كتاب الدلالة الى الاب ميخائيل نو ولا الى الياس فخر طالما لم يَقُم على هذا دليل غير الذي انصرف الى كتاب الاحتجاج

سنة ١٦٨١ اي من عهد المؤلف وهي اضبط من النسختين اللتين ذكرهما حضرة الخوري ق . الباشا كما سترى ولعل هذه النسخة هي التي نقّحها الياس فخر (المشرق)

ومن ثمَّ ينبغي لنا أن نأتي بالبيّنات على صحّة نسبتهِ الى المطران افتيميوس فنقول :

١ً ان اول هذه الحجج واقربها الينا ما اعتمد عليه حضرة الاب لويس شيخو في المشرق (٥ : ٧١ و١٠١٥ : ٧٥٢) ولا نظنُّ انهُ قرّر مسألة تاريخيّة مهمّة مثل هذه بلا سند يُعوّل عليهِ (١

٢ً ما ورد في مقدّمة كتاب مرشد الخاطئ الذي طُبع سنة ١٨٦٣ في المطبعة اليسوعيّة وأيًّا كان كاتب هذه المقدّمة يظهر من كلامهِ انهُ كان عارفاً حقّ المعرفة بتاريخ الرسالة اليسوعية القديمة واعمال رجالهـا اذ قال في صفحة ١٩ في معرض كلامهِ عنهم

« ومن جملة تلامذة (مدرستهم) الدمشقية افتيميوس الذي فيما بعد صار رئيس اساقفة صور وصيدا والّف الكتاب المعروف بالدلالة اللامعة ولاجلهِ لُقّب بنفّة العلم لانهُ اظهر فيهِ فهماً عظيماً في الكتب المقدّسة والآباء القديمين »

٣ً لا ريب انَّ كتاب الدلالة اغضب كثيرًا بطاركة الروم غير الكاثوليك وعارضوهُ فيهِ كما ورد في جريدة المنار (١ : ٢٨) وفي تاريخ نشأة طائفة الروم الكاثوليك الذي طُبع في مصر ملحقاً بتاريخ ميخائيل بريك قال في صفحة ١٠١ : « وفي ايام نافيطوس تُوفي (والصواب ارتسم) افتيميوس مطران صيدا . . . وخبرهُ مشهور عند الجميع وقد كتب في ذلك كتاباً سمّاهُ الدلالة اللامعة » . ومعلوم أنَّ شهادة هذا الكاتب المجاهر بالعداوة للمطران افتيميوس وبالولاء والمديح لالياس فخر المعاصر لهُ اضطراريّةٌ دفعهُ اليها الحقُّ الساطع لا غير

٤ً الخوري يوحنا العجيمي مؤرّخٌ مدقّق مشهور وُلِدَ ونشأ في جرن بجوار دير المخلص تحت رعاية عمّهِ الخوري ميخائيل (الذي صار مطراناً باسم مكاريوس) وتسيمهِ الخوري اسطفان عطاالله الذي تولّى طبع كتاب الدلالة وكلاهما من اقدم تلاميذ المطران افتيميوس ولا بدَّ انهُ اعتمد على افادتهما فيما كتبه عنه في كتاب التختيكون بكلامهِ على دير المخلص ومؤسسهِ إذ قال : « ابتدأ (افتيميوس) يجاهر بالكرازة وإشهار الايمان الكاثوليكي المقدّس والّف فيهِ كتاباً دعاهُ الدلالة

---

١) قد اتّبعنا في قولنا الرأي العام دون التحقّي في المسألة كما فعل حضرة الابوين القس ج . منش والخوري ق . الباشا (المشرق)

اللامعة مشحوناً من الشهادات الواضحة البيان وارسل اعرضهُ على الكرسي الرسولي ... والتمس طبع الكتاب المذكور لنشرهِ في البلاد الشرقيَّة وارسلهُ الى رومية (بعد الأذن بذلك) صحبة احد شمامسته اسطفان عطاالله خواجا من دير القمر سنة ١٧٠٧ وحال وصولهِ الى رومية قبلهُ الكرسي الرسولي بكمال إكرام وباشر طبع الكتاب الذي أنجز سنة ١٧١٠ واحضر لهُ جملة نُسخ منهُ لنشرها في هذه البلاد وحصل منهُ خيرات عظيمة »

وهذا مطابق لِما وقفنا عليهِ من مراسلات المطران ومقرَّرات مجمع انتشار الايمان في مجلَّدات مختلفة من سجلَّات المجمع المذكور بشأن طبع الكتاب وفرائد انتشارهِ حتى ترجمهُ المطران الى اليونانيَّة والتمس طبع هذه الترجمة . ولولا الخوف من إطالة الكلام مع الكفاية بما تقدَّم لكنَّا نشرنا شيئاً مما نقلناه عن السجلَّات المذكورة مع بيان كلِّ مجلَّد والورقة التي نقلنا عنها

*

ومن حيث ان كتاب الاب نو غير معروف حقَّ المعرفة ينبغي لنا ان نبسط فيهِ الكلام كما يستحقّ لبيان علاقتهِ مع كتاب الدلالة اللامعة فنقول : انهُ من العنوان الذي وضعهُ لهُ مؤلفهُ الفاضل بدون ذكر اسمهِ فيه ومن مقدمتهِ يُعلَم لطف الاسلوب الذي جرى عليهِ في كتابهِ اذ نسج كلامهُ فيهِ بالاحترام والمحبة لكنيسة الروم وكتب صلواتهم وأقوال الآباء القديسين وبطاركتهم « محامياً عن صحَّة إعتقاد كنيستهم وحسن إيمانها ضدَّ من رماها بالبدعة في الامور التي اشاعها بعض الافراد لجهلهم كل زوان قليل نبتَ في حقل الرب الواسع » الى ان قال : « اذا كان في عصر النور والعلم والقداسة ظهر في الشرق آريوس ونسطوريوس وامثالهما فلا يُستغرب ان يظهر بعد ذلك من يكون شرًّا منهم وكذلك في الغرب بلاد العلم ظهر كلفين واصحابهُ . ولذلك يعتمد على كتب الصلوات والتعليم دون الافراد لكون هذه الكتب جليلة القدر وقديمة العهد وصادقة اكثر من الناس الجهَّال ولا تختلف في هذه الامور عن كتب الكنيسة الكاثوليكية بل في بعض الاحيان تكون في كتب كنيسة الروم بكلام أفصح واكثر واجل » . ثمَّ يخاطب رؤساء الكهنة كأنهُ يقترح عليهم كتاباً اكبر واوسع في هذا الباب كالدلالة اللامعة قائلاً :

« يا اخوتي رؤساء كهنة الله المختارين انا الحقير الذليل عبدكم اثبت لكم هذه بشهادات كثيرة لكنها قليلة باعتبار جلتها فالمأمول من فضلكم انتم العارفين اقوال كتبكم ان تريدوا على ذلك وتجيبوا اقوالاً اكثر واقوى بالمعنى وتقوموا معي للاحتجاج عن كنيستكم السليم شرفها وتبريرها مما تكلموا عليها فيكون لهذا التعب المفيد مجازاة عظيمة. وتكلموا كما واجب عليكم لاجل نور العالم وقصدُ الباري تعالى الذي وفقكم فوق كافة الناس مثل شموس ان تسعوا في تنوير المسكونة وإضاءة الساكنين في الظلمة وتخلصوا بحكمتكم من يطلب الشيطان هلاكهُ ولا تتركوا الشياطين يسهروا ويسعوا في هلاك النفوس اكثر منكم في تخليص المؤمنين الذين ارساكم الله جم ويحاسبكم عن كل نفس ضلت منهم »

ودونك « ديباجة الكتاب » بحرفها الواحد:

نسخة دير المخلص بعد الفاتحة (١

لمرفتي بعلوّ الفضائل ووصف العلم وصحّت الآراء التي استمرُّوا عليها الآباء الاطهار في كنيسة الروم تعجّبتُ لمّا سمعتُ من بعض الناس بان الروم المحتلقين (كذا) عنهم قد بدوا اليوم من اعتقاد هؤلاء القديسين واتمسّكوا باياتٍ مضادّاً (كذا) لهُ في امور متعدّدة. فانا الفقير ما اسرعتُ في تصديق ذلك لمعي بجاري العادة بين الخلف ان ينسبوا الى طائفة ما كلّ ما رأوا من العيب والنقص وعند اقوام من المنحصرين فيها فشرعتُ في فحص الامر وتمييز الحقّ من الباطل. . .

نسخة المكتبة الشرقية (سنة ١٦٨١)

اعلموا يا اخوتي انهُ لمّا حصل لي بنعمة الله تعالى الاطلاع على الفضائل السامية وعمق العلوم وصحّة الآراء التي استمرُّوا عليها الآباء الأطهار في كنيسة الروم فتعجّبتُ مما سمعتهُ من بعض الناس اذ يقولون انّ الروم المفترقين منهم قد بدوا اليوم من اعتقاد هؤلاء الآباء القديسين واتمسّكوا باياتٍ مضادد لهُ في امور متعدّدة فلم اسرع في تصديق ذلك لسببين الاوّل لمعي انّ جميع المنقولين في الكنيسة من معلمين الشرق القديسين هم مقبولين عندهم في الغاية وغالب كتبهم موجودة بيدهم يتلوها الليل والنهار. والسبب الثاني لمعرفتي بالعادة الجارية بين عوامّ الناس انهم متى شاهدوا في بعض من الطائفة نقصاً ما فنسبوهُ الى الجميع. فلهذا طرحتُ ثوب الكسل وشمّرت عن ساعد العزم وشرعتُ في البحث وفحص الامر وتمييز الحقّ من الباطل. . .

(١ حضرة الكاتب ارسل لنا هذه الديباجة بالصورة الفوتغرافيّة عن نسختي دير المخلص ولا فرق بينهما الّا في بعض النقط لا يُبأ بها. فاكتفينا باحدى النسختين واثبتنا بدلاً من الثانية ديباجة نسخة مكتبتنا الشرقية التي هي مؤرخة ويرقى عهدها الى زمن المؤلف ولعلّها هي النسخة التي تفحّصها الياس فخر فنسبها لنفسه (المشرق)

وكان بودّنا ان ننشر بعض فصول الكتاب لكنّنا نكتفي بنقل ما ذكرهُ في

الفصل السابع من الجزء الرابع جواباً لمن يزعم ان سلطة البابا بطلت لانهُ خالف الشريعة الانجيليَّة فيقول

« انظر يا اخي بطلان ذلك وميّز . فمن جهة البعض من الروم المضادين لاقوال كتبهم المقدَّسة وقليلي العلم والساكنين في البلاد التي فيها الايمان ضعف والرذيلة قويت يفترون على البابا بغير علة ويقولون انهُ مخالف . ومن جهة اخرى بقيَّة الروم وجميع النصارى المقيمين في الدنيا كلها ومنهم أُناس لا يُحصَون كاملين في العلوم والفضائل يقولون عن البابا انهُ غير مخالف فمن من الفريقين يجب التصديق ؟ »

ومما ذكرهُ في الفصل الثاني من الجزء الخامس عن عدم التنويه باسم البابا في القداس قولهُ :

ويشغل الكتاب في نسختنا نحو ٢٠٠ صفحة (١ بقطع نصف ربع . ويُقسم الى خمسة اجزاء. الاول منها يحامي فيه عن استقامة ايمان كنيسة الروم بانبثاق الروح القدس من الاب والابن . ويشتمل على خمسة فصول . والجزء الثاني يحامي فيه عن اعتقادها بسعادة القديسين ويشتمل على ستة فصول . والجزء الثالث يتضمن اعتقادها بتطهير النفوس بعد الموت ويشتمل على سبعة فصول . وفي الجزء الرابع يدافع عن اعتقادها برئاسة القديس بطرس وخلفائه على جميع المؤمنين ويشتمل على ثمانية فصول . وفي الجزء الخامس يحامي عما تتفق فيه كنيسة الروم مع الكنيسة الكاثوليكية بالطقوس والموائد وما تختلف عنها فيه نظير الاصوام وتعييد الاعياد والتقديس على الخمير والفطير والحساب وغير ذلك

« يذكر البابا كثيرون منهم (اي الروم) كالساكنين في بلاد الروس وبلاد الافرنج (٢ . وفي الشرق السكوت عنهُ غير مقبول ولا مرضي قط (٣ والعالمون يذكرونهُ عندهم بانفرادهم . . . والروم القدماء مشوا ذلك وهم اصحاب العلم والغيرة فلمَ لا يتبعهم الروم الجدد وهم مولودون

---

١) ونسخة مكتبتنا الشرقية الكاملة صفحاتها ٣٦٥ وفي الصفحة ١٩ سطر ٤ جزئت كتابتها في ٥ ايلول سنة ١٦٨١ وكانت « ملك القس يوحنا الماروني المكنّى بابن زنده » (المشرق)

٢) كان في زمان المؤلف نحو اثني عشر مليوناً من الروم الكاثوليك في مملكة بولونية وروسية عدا الذين كانوا في ايطالية

٣) كتب المؤلف كتابه سنة ١٦٧٠ كما يؤخذ من كلامه على حساب عيد الفصح لتلك السنة وكان يومئذٍ البطريرك الانطاكي مكاريوس الحلبي الذي مات سنة ١٦٧٢ بعد ما جاهر

منهم بالروح ومتلمذون لهم. وان كان بعض الروم يضنون ذلك في بعض الكنائس المتقدم ذكرها فلم لا يمنع هكذا جميع الروم لكمال المحبة والاتفاق. . . فيظهر اذًا انهُ صار من التغافل او من الضرورة فاما التغافل فليس من المعقول والادب ان ننسب هذا الى البطاركة لانهم اناس من افضل الروم ومختارين قريبا يكون من الملازمة والضرورة. فليفحص عن هذا اصحاب الفحص والتفتيش »

ومما تقدَّم يظهر ان كتاب الاحتجاج اقدم من كتاب الدلالة الذي صنَّفه المطران افتيموس على شاكلته وباقتراحه (٣ لكن هذه المشاكلة لا تتجاوز موضوع الكتاب باكثر مسائله وهو يختلف عنه بغير ذلك كما يأتي:

١ً كتاب الاحتجاج عقد فصلًا لبيان صحَّة الحساب الجديد وخطأ القديم وفصلًا لتحليل اكل السمك في الصوم وفصلًا لتحليل اكل اللحم للرهبان وتحليل اكل المخنوق في الكنيسة اللاتينية مما لم يذكر عنها شيئاً بالاطلاق كتاب الدلالة

٢ً انفرد كتاب الدلالة بفصل مطوَّل على القداس والصلوات وباقي الطقوس في الكنيسة اليونانية واللاتينية وتاريخ وضعها وهو كافٍ وحده ليكون دلالة لامعة على سعة معارف المطران بطقوس الكنيسة وجليل قدرها عندهُ . وانفرد ايضاً بفصل اخر جميل وهو المحاماة عن تحريم زواج الكهنة في الكنيسة اللاتينية

٣ً خالف كل منهما الآخر بوجه البحث في الفصل الذي خصَّهُ كل منهما للكلام على اختلاف الاصوام بين الكنيسة الرومانية واليونانية

٤ً كتاب الدلالة يتوسع كثيرًا في فصوله وبيان المسائل التي يبحث في حلها فان الفصل الذي عنده كتاب الاحتجاج لبيان جواز التقديس على الخمير والفطير في ست صفحات مخطوطة يقابلهُ في كتاب الدلالة فصل مطوَّل في ٢٣ صفحة مطبوعة. وكذلك ايضاً قصر كتاب الاحتجاج فصلًا باربع صفحات على علامات الكنيسة

باتحاده وطاعته للحبر الروماني نظير من تقدَّمه من البطاركة الانطاكيين الذين كما يقول عنهم اعلنوا اتحادهم وطاعتهم لهُ بالطريقة الممكنة لهم اي بدون ان يعلم بذلك احد في القسطنطينية

٣) لا نرى حاجة للتصريح بعد ما تقدم بان المطران افتيموس كان عنده نسخة قديمة كاملة من كتاب الاحتجاج نقلت عنها نسختنا الناقصة في مجموعته التي تقدم ذكرها وتلك النسخة القديمة هي التي اعتمد عليها واستفاد منها لتأليف كتابه مثل غيرها من الكتب القديمة

وشروطها وقد بسط ذلك كتاب الدلالة باربعة فصول كبيرة في الجزء الاول وجعل علامات الكنيسة وكنا لبحثه في سائر الكتاب وقس على ذلك

٥ نفس مؤلف كتاب الاحتجاج نفسُ عالم بارع التصرف في إلباس المعاني الجدلية ثوب المدافعة بلسان غير لسانه ومع هذا يظهر عليه نفس الفيلسوف النظري بخلاف كتاب الدلالة اللامعة فانهُ يتجنب النظريات وبراعة القياسات ودقتها ويُكثر من الشهادات والحوادث التاريخية التي لا تحتاج الى دقة نظر وإعمال العقل ليفهمها العامة فانه لم يذكر قط سفر الرؤيا الذي استشهد به كثيراً كتاب الاحتجاج بشرح مطول يكل عن فهمه عامة الناس

٦ يشارك كتاب الدلالة لكتاب الاحتجاج في كثير من الشهادات المنقولة من كتب الاباء والصلوات الطقسية في اليونانية مع تعريبها وقد استشهد بها كل من بحث في المسائل المذكورة قبله باليونانية والعربية وراجع المطران مؤلفات العلماء فيها باليونانية (١ والعربية لكنه انفرد عمن تقدمه ومن اتى بعده بشهادات كثيرة تُعدُّ بالمئات نقلها عن مخطوطات قديمة بالعربية من مؤلفات الاباء ومعلمي الكنيسة مما لا يجتمع في مكتبة غير مكتبة «قفة العلم» ولا يزال اكثر هذه الكتب الى اليوم في مكتبة دير المخلص وهذه الشهادات او المخطوطات التي نقلها عنها تشهد له بسعة الاطلاع وشدة حرصه على كل ما كان يطالع . وقد قابلنا كثيراً من هذه الشهادات على اصلها فوجدناها منقولة بامانة وتدقيق يبلغ بعض الاحيان الى نقل الاعلام بالغاط اتباعاً لاصلها

(١ يؤخذ من مراسلات المطران افتيميوس ان البعض من الابرشية الاورشليمية نقلوا الى العربية كتاب زخريا جورغانو وارسلوا بعض نسخ منهُ الى الابرشية الانطاكية سنة ١٧٠٦ فقصد المطران افتيميوس ان يعارضه بكتاب الدلالة ليبطل به قاده وكتب بذلك الى الكردينال سكريبانتي (Sacripanti) يلتمس منهُ ان يرسل لهُ بعض الكتب الجدلية في هذا الباب المطبوعة في رومية باليونانية ليستعين بها على تأليف كتابه فأرسلت اليه منها كتاب الردّ على تجاديف زخريا المذكور وكتب المعلم يوحنا متى كابيوفلو ومصنفات الكردينال بيلارمين وكتب ديتريوس كيدوني وكتاب المعلم بطرس اركوديوس في اتفاق الكنيسة الشرقية والغربية. وهذه الكتب ارسلها للمطران الخوري يوسف مخائيل بموجب وصل بخط يده اذ كان موفد من مطرانه لهذا الامر ولاشتال اخر

فن هذه الكتب التي استشهد بها: كتاب ميامر ابي قرّة الذي نشرناه عن نسخة دير المخلّص (ص ١٥٤ من طبعة القدس) وكتاب الباتريكون (ص ٢٧٧ و٢٧٨) ونسكيّات القديس باسيليوس (ص ٦٩) وكتاب البرهان للقديس صفرونيوس (ص ١٢١ و١٣٦ و١٩٢ الخ) وكتاب الحاوي الكبير (ص ٤٨ و٢٧٤ الخ) وكتاب الناموس (ص ٨٤ و٨٥) وهذه النسخة التي اخذ عنها السيد افتيميوس لا تزال في مكتبة دير المخلّص وفيها غير قوانين مجمع نيقية فاستشهد بها . على خلاف كتاب الاحتجاج الذي لم يستشهد بكتاب الناموس ولم ينقل الّا عن قوانين نيقية. وكذلك كتاب تاريخ ما جرى لاغناطيوس من فوطيوس (ص ٤٦ و١١٩). وكتب اخرى كثيرة نضرب عنها كمؤلفات يوحنّا الدمشقي ويوحنّا فم الذهب والقديس غريغوريوس والسنكسار الخ

والنتيجة ان كتاب الدلالة اللامعة تاليف المطران افتيميوس صيفي يختلف عن كتاب احتجاج كنيسة الروم تاليف الاب مخائيل نو اليسوعي بالوضع والترتيب والتبويب والبراهين وطريقة سردها وغير ذلك لكنهما يقصدان غاية واحدة شريفة بيان صحّة اعتقاد كنيسة الروم في بعض الامور التي يرفضها اليوم بعض اولادها الذين تدعوهم الى وحدتها ليرجعوا الى الصواب الذي ما كان عليه اباؤهم بمحبة والدية وبصوت اولادها الصالحين نظير الاب مخائيل نو والمطران افتيميوس فنعنا الله بفضلهما واكثر من امثالهما في كرم الرب

المشرق — خلاصة هذه المقالة (اوّلاً) انّ كتاب الاب مخائيل نو اليسوعي المسمّى بالاحتجاج هو غير كتاب الدلالة اللامعة وان كان صاحب الدلالة استعان بحجج وشواهد وردت في كتاب الاحتجاج. (ثانياً) انّ كتاب الدلالة اللامعة هو صوريًّا للمطران افتيميوس صيفي كما يظهر من تحتيكون العجيبي ثمّ التقليد المتواتر الى زماننا. (ثالثاً) امّا ما اراده عبدالله زاخر بتعبير الياس فخر « بتحليته باثواب غريبة » وما اراد الاب بطرس فرومان بقوله انّ الياس فخر « اتخذ كتاب البادره مخائيل نو اليسوعي . . . واصلح اعرابهُ وبسبكهُ الى نفسه » ثم بتصريحه « انّ هذا الكتاب هو الدلالة اللامعة » ففيها مشكل لم نر حلّهُ تامًّا لحضرة الاب ق. الباشا. ويا ليتهُ اتى باحد النصوص من مقرّرات مجمع افشار الايمان التي اشار اليها ووجدها في سجلّات هذا المجمع ولا شك انّ بينها ما يصرّح باسم مؤلف كتاب

الدلالة. ولعلّ فلكّ هذه العقدة بان يقال انّ كتاب الدلالة اللامعة الذي جرى فيه السيد انتيبوس صفي بجرى الاب ميخائيل نو في كتاب الاحتجاج ولم يذكر فيه اسمهُ اماً تواضعاً واماً عملاً بالفطنة قد نقّح عبارتهُ الياس فخر وزاد فيه بعض زيادات طفيفة فتفاخر بعملهِ الى ان نسب الكتاب الى نفسهِ زوراً . ومن المحتمل ايضاً ان يكون نقّح كتاب الاحتجاج للاب ميخائيل نو كما رأيت فنسبهُ الى نفسهِ فوبّخهُ على فعلهِ الشماس عبد الله زاخر وظنّ الاب بطرس فرومان انّ عبد الله زاخر قصد بذلك كتاب الدلالة اللامعة بدلاً من كتاب الاحتجاج والله اعلم. وقد اوقفنا حضرة القس جرجس منش على المقالة السابقة فابدى فيها بعض الملحوظات لم يسمح لنا مثول المجلّة للطبع بنشرها

وقائع العالم المنصرم

نظر للاب لويس رتزفال اليسوعي (تتمّة)

سياسة الدول

اوربة

﴿ فرنسة ﴾ كان افتتاح السنة ١٩١٢ مشئوماً للوزارة الفرنسويّة فاستعفى المسيو دي سلف وزير الخارجيّة ثم تبعهُ بقيّة اعضاء وزارة كاليو فخلفتها في ١٢ ك ٢ وزارة اخرى شكّلها المسيو پوانكاريه مع المسيو بريان للعدليّة ومستيغ للداخليّة ودلكاسه للبحريّة وميلران للحربيّة وحفظ لنفسهِ وزارة الخارجيّة . فوقعت هذه الوزارة لدى العموم موقع القبول ووقفت بازاء الدول موقفاً شريفاً اكسب لها ثقة الاهلين والاجانب

وفي ١٠ آذار تجدّد انتخاب قسم من نوّاب مجلس العموم فكان الفوز للمعتدلين ووقع الاختيار على بعض الكاثوليك الصادقين كمسيو غلبار بنسل (G. Bancel) ومسيو أنسه (Ancé). وفي هذا الشهر حدثت في باريس تلك الفتن الغريبة التي أثارها احد الأئمة المدعو بونو (Bonnot) فجاهر بالمنكرات وقتل احد رؤساء الشرط وتحصّن في دار وجل من مناصريهِ فلم يسلّم حتى نُسفت الدار